ولو كان ذلك ما هو هذا الرقم ؟ لقد كان من المحتم معرفة الجواب قبل اصدار التصريح ولكن بريطانية تركته دون جواب · وكان الاحرى ببريطانية ان تحدد وجهة سياستها وان تعمل على تنفيذها قبل ان يصل هتلر الى السلطة بفتـــرة طويلة · وتبدو الحكومتان البريطانية والامريكية مسؤولتين « اذ كان بالامكـان ان ننقذ الوضع في الثلاثينات ، لو اننا واجهنا اعمال هتلرضد اليهود في المانية بفتح ابواب بريطانية والولايات المتحدة على مصراعيها لاستقبال افواج اللاجئين اليهود ولكن البلدية وامام ضرورات ملحة لم تفتحا ابوابهما الا جزئيا · وبهذا التجاوب الشحيح لحاجة يهود المانيا وقعتا (اي بريطانيا والولايات المتحدة) بايدي الصهيونيين » · فتدفق تيار الهجرة اليهودية من المانية نحو فلسطيـــن وكان كارثة لعرب فلسطين وللاجئين اليهود معا · اذ لو منح اليهود حـــــق اللجوء الى بريطانية او الولايات المتحدة ، كان بالامكان ان يتم ذلك دون احداث نتائج سياسية واجتماعية واقتصادية اليمة وخطيرة للبلدين · « وربما امكـن لهؤلاء اليهود الحصول على ضمان دائم لهم وللاجيال المقبلة وهو ضمان لا يبدو ان اسرائيل قادرة على منحه » ·

ورغم مسؤولية امريكا والمانيا تبدو حصة بريطانية اكبر اذ كان بالامكـــان تجنيب عرب فلسطين كارثة تجريدهم من ممتلكاتهم وتجنيب العرب واليهـــــود علاقات العداء لو ان بريطانية لم تقترف سلسلة الاخطاء السياسية والاخلاقية خلال وجودها في فلسطين بين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ·

ويعتقد توينبي ان الفلسطينيين ربما ارتكبوا خطأ سياسيا بعدم التعاون مع حكومة الانتداب فرفضوا مشروع الوكالة العربية الذي قد يمكنهم من طـــرح قضيتهم ، وكانت قضيتهم عادلة بحيث كان يصعب على كـــــل الحكومـــات البريطانية المتعاقبة ان تعمل ما عملته لو تعاون العرب معها · ولكن مجرد ان يحوي صك الانتداب نص تصريح بلفور كان بحد ذاته ذا وزن خاص ضد العرب فلم يثق العرب بنوايا بريطانية رغم التأكيدات المتواصلة عن عدل ونزاهـــــة اعتراضها تجاههم ، الا ان هذه التأكيدات البريطانية كانت التأكيدات السابقة لمصر بعزمها على الجلاء · لقد اضطرت بريطانية في النهاية الى الجلاء عـن فلسطين كما جلت عن مصر ، ولكنها تركت فلسطين في ظروف دفعت الى كارثة قومية كانت اشد قسوة مما توقعه العرب ·

الصراع العربي الصهيوني بعد ١٩٤٨

تعيش اسرائيل والدول العربية المجاورة منذ ١٩٤٨ في حالة حرب · ومنذ البداية كان الصراع غير متوازن ، وهزم العرب مرارا ـ كما يقول توينبـــي ـ بالمناورات السياسية ، ولم يكن لهم خبرة بذلك ، وهذا جزء من فداحة القضية